كنوز الحكمة
إشعياء 6:29 – 9:31

- **الدرس السادس والعشرون**

بدأنا في الدرس السابق مقطَعاً جَديداً من السفر. النبوّاتُ المُستقبليَّة مشمولَةٌ بكامِلِها في الفُصولِ 24-27. أمّا النبوّاتُ الوارِدَةُ في الفُصولِ 28-35 فسوفَ يكونُ تحقيقُها على المُستوى المحليّ وهي أحداثٌ وَقَعَت في الماضي. كَما تتحدَّثُ بعضُ هذهِ النبوّاتِ عَنِ المُستقبلِ وتُغطّي نَفْسَ الفترة التي يُغطّيها الفُصلُ السابِق. المَمْلَكَةُ الشماليَّةُ، والمُعرَّفَة هُنا باسم "أفرايم" كانَتْ على وَشْكِ الوقوعِ في الأسْرِ الآشوريّ. وقَد كانَ في هذا دَرْسٌ وعِبْرَةٌ لليومِ الآتي مُستقبَلاً. كَما أنَّهُ تحذيرٌ لمملكة يهوذا الجنوبيّة. وقَد تحقَّقَ الجُزءُ الأوَّلُ مِنْ هذهِ النبوَّةِ حينَما قامَ شَلمنأسَرُ، مَلِك أشور، بغزوِ أفرايم في سنة 721 قبلَ الميلاد وأطاحَ بالمَمْلَكَةِ الشماليَّةِ وسَبى شعبَها.

بدأنا نتأمل في الفصل التاسع والعشرين من إشعياء. تنحَصِرُ نُبوّات هذا الفَصْلِ في أورشليم، لكِنَّها تمتَدُّ مِنْ غَزْوِ سنحاريب حتّى الوقت الذي تُداسُ بِهِ أورشليم مِنْ قِبَلِ الأمَم وحتّى الوقت الذي سيقومُ فيهِ العَدوُّ الأخير (زكريّا 14:1-7) بتدمير أورشليم، وأخيراً حتّى تأسيسِ الملكوت حينَما يأتي المسيّا وتطأُ قَدماهُ جَبَلَ الزيتون.

نتابع التأمل الآن في هذا الفصل التاسع والعشرين من إشعياء ونقرأ منه فوراً ابتداءً من الآية الخامسة..

5وَيَصِيرُ جُمْهُورُ أَعْدَائِكِ كَالْغُبَارِ الدَّقِيقِ، وَجُمْهُورُ الْعُتَاةِ كَالْعُصَافَةِ الْمَارَّةِ. وَيَكُونُ ذلِكَ فِي لَحْظَةٍ بَغْتَةً، 6مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْجُنُودِ تُفْتَقَدُ بِرَعْدٍ وَزَلْزَلَةٍ وَصَوْتٍ عَظِيمٍ، بِزَوْبَعَةٍ وَعَاصِفٍ وَلَهِيبِ نَارٍ آكِلَةٍ. 7وَيَكُونُ كَحُلْمٍ، كَرُؤْيَا اللَّيْلِ جُمْهُورُ كُلِّ الأُمَمِ الْمُتَجَنِّدِينَ عَلَى أَرِيئِيلَ، كُلُّ الْمُتَجَنِّدِينَ عَلَيْهَا وَعَلَى قِلاَعِهَا وَالَّذِينَ يُضَايِقُونَهَا. 8وَيَكُونُ كَمَا يَحْلُمُ الْجَائِعُ أَنَّهُ يَأْكُلُ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ وَإِذَا نَفْسُهُ فَارِغَةٌ. وَكَمَا يَحْلُمُ الْعَطْشَانُ أَنَّهُ يَشْرَبُ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ وَإِذَا هُوَ رَازِحٌ وَنَفْسُهُ مُشْتَهِيَةٌ. هكَذَا يَكُونُ جُمْهُورُ كُلِّ الأُمَمِ الْمُتَجَنِّدِينَ عَلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ. 9تَوَانَوْا وَابْهَتُوا. تَلَذَّذُوا وَاعْمَوْا. قَدْ سَكِرُوا وَلَيْسَ مِنَ الْخَمْرِ. تَرَنَّحُوا وَلَيْسَ مِنَ الْمُسْكِرِ. 10لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَكَبَ عَلَيْكُمْ رُوحَ سُبَاتٍ وَأَغْمَضَ عُيُونَكُمُ. الأَنْبِيَاءُ وَرُؤَسَاؤُكُمُ النَّاظِرُونَ غَطَّاهُمْ. 11وَصَارَتْ لَكُمْ رُؤْيَا الْكُلِّ مِثْلَ كَلاَمِ السِّفْرِ الْمَخْتُومِ الَّذِي يَدْفَعُونَهُ لِعَارِفِ الْكِتَابَةِ قَائِلِينَ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: «لاَ أَسْتَطِيعُ لأَنَّهُ مَخْتُومٌ». 12أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لاَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: « لاَ أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ».13فَقَالَ السَّيِّدُ: «لأَنَّ هذَا الشَّعْبَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ بِفَمِهِ وَأَكْرَمَنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَأَبْعَدَهُ عَنِّي، وَصَارَتْ مَخَافَتُهُمْ مِنِّي وَصِيَّةَ النَّاسِ مُعَلَّمَةً. 14لِذلِكَ هأَنَذَا أَعُودُ أَصْنَعُ بِهذَا الشَّعْبِ عَجَبًا وَعَجِيبًا، فَتَبِيدُ حِكْمَةُ حُكَمَائِهِ، وَيَخْتَفِي فَهْمُ فُهَمَائِهِ». 15وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَتَعَمَّقُونَ لِيَكْتُمُوا رَأْيَهُمْ عَنِ الرَّبِّ، فَتَصِيرُ أَعْمَالُهُمْ فِي الظُّلْمَةِ، وَيَقُولُونَ: «مَنْ يُبْصِرُنَا وَمَنْ يَعْرِفُنَا؟». 16يَا لَتَحْرِيفِكُمْ! هَلْ يُحْسَبُ الْجَابِلُ كَالطِّينِ، حَتَّى يَقُولَ الْمَصْنُوعُ عَنْ صَانِعِهِ: «لَمْ يَصْنَعْنِي». أَوْ تَقُولُ الْجُبْلَةُ عَنْ جَابِلِهَا: «لَمْ يَفْهَمْ»؟

سوفَ يكونُ الحِصارُ الأخير على أورشليم هُوَ الأسوأ (زكريّا 14)، لكِنَّ الله سيتدخَّلُ في اللحْظَةِ الأخيرَةِ ويُخلِّصُ شَعْبَهُ مِنَ الفناء. فَسَوْفَ تُحْبَطُ جميعُ أحلامِ أعداءِ الله في تأسيسِ مملكتِهِم، وسوفَ يقومُ اللهُ بسحقِهِم. كَما سيبني الرَّبّ مملكتَهُ هُوَ كَما قالَ بالتحديد. " تَوَانَوْا وَابْهَتُوا. تَلَذَّذُوا وَاعْمَوْا. قَدْ سَكِرُوا وَلَيْسَ مِنَ الْخَمْرِ. تَرَنَّحُوا وَلَيْسَ مِنَ الْمُسْكِرِ. لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَكَبَ عَلَيْكُمْ رُوحَ سُبَاتٍ وَأَغْمَضَ عُيُونَكُمُ. الأَنْبِيَاءُ وَرُؤَسَاؤُكُمُ النَّاظِرُونَ غَطَّاهُمْ ". ما يقولُهُ النبيُّ إشَعْياء ينطَبِقُ على ثقافَتِنا المُعاصِرَة. هَلْ حَقّاً سَكَبَ اللهُ عليهِم روحَ سُباتٍ؟ كَيْفَ فَعَلَ ذلِك؟ لقَد واصَلَ اللهُ إعطاءَ النور للشعب القديم، ومَع ذلِكَ فقَد رفضوا ذلِكَ النور. فهُم لَمْ يتقبَّلوا الحَقَّ الذي أعطاهُم إيّاه. فلَمْ يَكُن بمقدورِهِم رؤيَة ذلِك النور مِمّا يَدُلُّ على أنَّهُم كانوا عِمياناً. هذهِ هِيَ الطريقَةُ التي يسكُبُ فيها اللهُ روحَ السُباتِ على الناسِ، والطريقَةُ

التي يكشِفُ فيها بأنّهُم عُميان. فحتّى الأنبياءَ والرؤساءَ لَمْ يتوقّعوا مِنَ اللهِ أنْ يقومَ بتحريرِهِم. فقَد كانوا عُمياناً لا يُبصِرونَ المُستَقْبَل؛ تَماماً مِثْلَ أعداءِ الله. أجَل، صَديقي، لقَد كانوا مِثْلَ السكارى.

عدد 11 و12:" وَصَارَتْ لَكُمْ رُؤْيَا الْكُلِّ مِثْلَ كَلاَمِ السِّفْرِ الْمَخْتُومِ الَّذِي يَدْفَعُونَهُ لِعَارِفِ الْكِتَابَةِ قَائِلِينَ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: «لاَ أَسْتَطِيعُ لأَنَّهُ مَخْتُومٌ».أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لاَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: « لاَ أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ» ". كانَ موقِفُ الناسِ، بمَنْ فيهِم شَعْبُ اللهِ، قَبْلَ تحريرِهِم النِهائيّ مِنْ قِبَلِ اللهِ هُوَ أنَّ النُبوَّةَ كانَتْ غامِضَةً للغايَةِ ويصعُبُ عليهِم فهمها. لقَد كانَتْ شيئاً مَختوماً يستَعصي عليهِم معرفته. وهذا هُوَ موقِفُ الكثيرِ مِنَ قادَةِ الكنائِسِ والوُعّاظِ في وقتِنا الحاضِر. فهُنالِكَ كثيرونَ يقولونَ بأنَّ سِفْرَ الرؤيا سِفْرٌ مَختومٌ وليسَ بالإمكانِ فَهْمُهُ. وهؤلاء الذين يُصِرّونَ على أنَّ سِفْرَ الرؤيا مُبْهَمٌ ولا يُمكِنُنا فهمَهُ إنَّما يقولونَ الشيءَ نَفْسَهُ الذي كانَ الناسُ في زَمَنِ النبيِّ إشَعْياء يقولونَهُ عَنِ النبوَّة. وأحياناً يقولُ الناسُ بأنَّهُم مشغولونَ جِدّاً لدرجَة أنَّهُ ليسَ لديهِم الوقتُ لدراسَةِ كَلِمَةِ الله. فالمسيحيّونَ يختَلِقونَ كُلَّ أنواعِ الأعذارِ لتبريرِ جَهْلِهِم بالكِتابِ المُقَدَّس. لقَد نَزَعَ اللهُ الخَتْمَ عَنْ سِفْرِ الرؤيا بحيث يُصبِحَ بالإمكانِ فهمُهُ. ورُبَّما كانَ سِفْرُ الرؤيا أسْهَلَ سِفْرٍ في الكِتاب المُقَدَّس؛ لكِنْ ينبَغي عليكَ أنْ تكونَ فاهِماً للأسفارِ الخَمْسَةِ والسِتّينَ التي تسبِقُهُ. وكَما تَعْلَمُ فإنَّ سِفْرَ الرؤيا هُوَ السِفْرُ الأخيرُ مِنَ الكِتابِ المُقَدَّس، لهذا، فلا ينبَغي عليكَ أنْ تبدأ بقراءَتِهِ. وبالتالي، فمِنَ الهُراءِ أنْ نقولَ بأنَّ سِفْرَ الرؤيا سِفْرٌ رمزيٌّ وبأنَّهُ مِنَ المُحالِ أنْ نفهَمَهُ. فقد كانَ هذا كَلامَ الناسِ في أيّامِ النبيِّ إشَعْياء. لذلِكَ، علَيْنا بالحَذَرِ، فحينَما يُعطينا اللهُ نوراً ولا نقومُ بِفَتْحِ أعيُننا، فهذا يَعني أنَّنا قَد أصبَحْنا عمياناً ويتعذَّرُ علينا رؤيَةُ النورِ الذي وَهَبَنا إيّاه. تَعالَ، صَديقي، واستَمِع إلى ما يقولهُ اللهُ عَنِ الرؤيا في سِفْرِ الرؤيا 3:1 "طُوبَى لِلَّذِي يَقْرَأُ وَلِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ أَقْوَالَ النُّبُوَّةِ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهَا، لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ". كَما نقرأُ في رؤيا 10:22 ما يلي: "وَقَالَ لِي: لاَ تَخْتِمْ عَلَى أَقْوَالِ نُبُوَّةِ هذَا الْكِتَابِ، لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ". وهكذا، عزيزي، فإنّ سِفْرَ الرؤيا ليسَ سِفْراً مَختوماً.

عدد 13:"فَقَالَ السَّيِّدُ: «لأَنَّ هذَا الشَّعْبَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ بِفَمِهِ وَأَكْرَمَنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَأَبْعَدَهُ عَنِّي، وَصَارَتْ مَخَافَتُهُمْ مِنِّي وَصِيَّةَ النَّاسِ مُعَلَّمَةً ". لو عِشْتَ، صَديقي، في زَمَنِ النبيّ إشَعْياء لتساءَلْتَ عَمّا يعنيه بالتحديد، فالناسُ كانوا ذاهبينَ إلى الهيكَل. لقَد كانَ المَكانُ مُزْدَحِماً حيثُ كانَ الناسُ يتجمَّعونَ في أيّ وَقْتٍ تُقَدَّمُ فيهِ ذبيحَة. كانَ هُنالِكَ مكانٌ مُخصَّصٌ للرِجالِ، ومَكانٌ مُخصَّصٌ للنساء، ومَكانٌ للأمميّين. لكِنْ لماذا كانَ اللهُ يَرى عيباً في هؤلاءِ الناس؟ لقَد كانوا جميعُهُم يذهَبونَ إلى الهيكَلِ، لكِنَّهم كانوا يتعبَّدونَ بشفاهِهِم فقط. فهُم لَم يكونوا يَعنونَ ما يقولون؛ أي أنَّهُم لَمْ يقبَلوا كَلِمَةَ الله. لهذا قالَ اللهُ بأنَّ قلوبَهُم مُبتَعِدَةٌ عَنْهُ. لهذا، فقَد أدانَهُم. وهُوَ سيُدينُنا نَحْنُ أيضاً للسَبَبِ نفسِه. إنَّ اللَعْنَةَ التي يُعاني مِنها العالَمُ في وقتِنا الحاضِرِ هِيَ التَدَيُّن. واللهُ يُريدُك، عزيزي، أنْ تترُكَ التَدَيُّن وتأتي للمسيح. فالتَدَيُّنُ يُشكِّلُ العائِقَ الأكْبَرَ لدى الكثيرينَ في وقتِنا الحاضِر. فما نَحْنُ بِحاجَةٍ إليهِ جميعاً هُوَ العلاقَةُ الشخصيَّةُ بالربّ يسوع المسيح. فهَل تتمتَّعُ، صَديقي، بِمِثْلِ هذهِ العَلاقَة مَع الرَّبّ يسوع المسيح؟ عدد 15:" وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَتَعَمَّقُونَ لِيَكْتُمُوا رَأْيَهُمْ عَنِ الرَّبِّ، فَتَصِيرُ أَعْمَالُهُمْ فِي الظُّلْمَةِ، وَيَقُولُونَ: «مَنْ يُبْصِرُنَا وَمَنْ يَعْرِفُنَا؟» ". الأمورُ جادَّةٌ للغايَةِ هُنا بالنسبَةِ لِشَعْبِ الرَّبّ بحيث أنَّ اللهَ يَذكُرُ ويلَةً أخرى هُنا. يحتوي هذا الفَصْلُ على وَيلتين: الأولى سَبَبُها أنَّ الشعبَ يتصرَّفُ وكأنَّ اللهَ لا يَرى ولا يَعْرِف؛ والثانِيَة سَبَبُها أنَّهُم يتصرَّفونَ وكأنَّهُم ينجونَ بِفِعلَتِهِم.

لنقرأ من الفصل التاسع والعشرين أيضاً من إشعياء من الآية السابعة عشرة وحتى نهاية الفصل..

17أَلَيْسَ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ جِدًّا يَتَحَوَّلُ لُبْنَانُ بُسْتَانًا، وَالْبُسْتَانُ يُحْسَبُ وَعْرًا؟ 18وَيَسْمَعُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ الصُّمُّ أَقْوَالَ السِّفْرِ، وَتَنْظُرُ مِنَ الْقَتَامِ وَالظُّلْمَةِ عُيُونُ الْعُمْيِ، 19وَيَزْدَادُ الْبَائِسُونَ فَرَحًا بِالرَّبِّ، وَيَهْتِفُ مَسَاكِينُ النَّاسِ بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ. 20لأَنَّ الْعَاتِيَ قَدْ بَادَ، وَفَنِيَ الْمُسْتَهْزِئُ، وَانْقَطَعَ كُلُّ السَّاهِرِينَ عَلَى الإِثْمِ 21الَّذِينَ جَعَلُوا الإِنْسَانَ يُخْطِئُ بِكَلِمَةٍ، وَنَصَبُوا فَخًّا لِلْمُنْصِفِ فِي الْبَابِ، وَصَدُّوا الْبَارَّ بِالْبُطْلِ. 22لِذلِكَ هكَذَا يَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ الرَّبُّ الَّذِي فَدَى

إِبْرَاهِيمَ: «لَيْسَ الآنَ يَخْجَلُ يَعْقُوبُ، وَلَيْسَ الآنَ يَصْفَارُّ وَجْهُهُ. 23بَلْ عِنْدَ رُؤْيَةِ أَوْلاَدِهِ عَمَلِ يَدَيَّ فِي وَسَطِهِ يُقَدِّسُونَ اسْمِي، وَيُقَدِّسُونَ قُدُّوسَ يَعْقُوبَ، وَيَرْهَبُونَ إِلهَ إِسْرَائِيلَ. 24وَيَعْرِفُ الضَّالُّو الأَرْوَاحِ فَهْمًا، وَيَتَعَلَّمُ الْمُتَمَرِّدُونَ تَعْلِيمًا.

نَحْنُ الآنَ، صَديقي، نتطلَّعُ إلى المُستقبل. فسوفَ يأتي وَقْتٌ يكونُ فيهِ كرامَةٌ ومَجْدٌ في أورشليم وفي الأرض. فاللهُ لَمْ يَفْرُغ بَعْدُ مِنْ تِلْكَ المَدينَةِ. وسوفَ يقومُ اللهُ بإدانَةِ المدينَةِ مِنْ جديد. لكِنْ سيُعادُ بِناءُ أورشليم مَرَّةً أخرى، وسوفَ تكونُ حينئذٍ مَدينَةَ الله، هذا ما تقولـه النبوات في سفر إشعياء. عدد 18:" وَيَسْمَعُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ الصُّمُّ أَقْوَالَ السِّفْرِ، وَتَنْظُرُ مِنَ الْقَتَامِ وَالظُّلْمَةِ عُيُونُ الْعُمْيِ ". سوفَ يَسمَعُ الصُمُّ في ذلِكَ اليوم، ويُبْصِرُ العُمْي. عدد 19:" وَيَزْدَادُ الْبَائِسُونَ فَرَحًا بِالرَّبِّ، وَيَهْتِفُ مَسَاكِينُ النَّاسِ بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ ". كَما هُوَ الحالُ في أيّامِ إشَعْياء فإنَّنا نواجِهُ اليومَ عَمىً مقصوداً. لكِنْ في ذلِكَ اليوم، أي في المُلْكِ، سوفَ يُبصِرون. وسوفَ يُقدِّسونَ اسم الله. وفي يومِنا هذا، ينبَغي على المؤمِنينَ أنْ يستخدِموا حياتَهُم بطريقَةٍ تُقدِّسُ الله. إنَّهُ اسمٌ قُدّوسٌ، لكِنْ هَلْ نُعامِلهُ نَحْنُ على هذا الأساس؟

نأتي الآن الى الفصلين الثلاثين والحادي والثلاثين من إشعياء، وهما يتحدثان بشَكْلٍ رئيسيّ عَنْ وَضْعٍ محليّ. ومع ذلِك، فإنَّهُما ينطَوِيانِ على نُبوَّة أكْبَر عَنِ المُستقبل. وقَد تحقَّقَت النبوَّةُ المحليَّةُ حرفيّاً. فقَد سَمِعَت المملَكَةُ الجنوبيَّةُ (يهوذا) تحذيرَ النبيِّ ولَمْ تتحالَف مَع مِصْر بهَدَفِ التصدّي لأشور. أمّا المملَكَةُ الشماليَّة فقد ارتَكَبَت خطأً جسيماً بتجاهُلِها لتحذيراتِ النبيّ. لهذا، فقَد تَمَّ أسرُهُم (2 مُلوك 4:17). وتُعَدُّ هذهِ واحِدَةً مِنَ المرّاتِ التي استفادَت فيها المملَكَةُ الجنوبيَّةُ مِنْ تجارِب المَملَكَةِ الشماليَّة.

يقول العدد الأول من الفصل الثلاثين ما يلي:" «وَيْلٌ لِلْبَنِينَ الْمُتَمَرِّدِينَ، يَقُولُ الرَّبُّ، حَتَّى أَنَّهُمْ يُجْرُونَ رَأْيًا وَلَيْسَ مِنِّي، وَيَسْكُبُونَ سَكِيبًا وَلَيْسَ بِرُوحِي، لِيَزِيدُوا خَطِيئَةً عَلَى خَطِيئَةٍ ". هذِهِ هِيَ الوَيْلَةُ الرابِعَةُ، وَهْيَ وَيْلَةٌ لأنَّها تَحذيرٌ. فكأنَّ اللهَ يَقولُ هُنا: "لا تلجأوا لِمِصْرَ طَلَباً للعون لأنَّ هذا لَنْ يكونَ في صالِحِكُم. فالعَونَ هُناكَ سيكونُ كالسَرابِ في الصَحراء". عدد 7:" فَإِنَّ مِصْرَ تُعِينُ بَاطِلاً وَعَبَثًا، لِذلِكَ دَعَوْتُهَا «رَهَبَ الْجُلُوسِ» ". وكأنَّ اللهَ يقولُ هُنا "ارجِعوا إليَّ فأنَجّيكُم". والآيَةُ التالِيَة هي آيَةٌ رائِعَةٌ حَقّاً. إنَّها إحدى الدُرَرِ التي يَحتوي عليها الكِتابُ المُقَدَّس: عدد 18:" وَلِذلِكَ يَنْتَظِرُ الرَّبُّ لِيَتَرَاءَفَ عَلَيْكُمْ. وَلِذلِكَ يَقُومُ لِيَرْحَمَكُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهُ حَقّ. طُوبَى لِجَمِيعِ مُنْتَظِرِيهِ ". لا تَكُن عَجولاً. لا تَقُل "نَحْنُ في نِهايَةِ الزَمان، وسوفَ يأتي الرَّبُّ في هذه السَنَةِ أو في السَنَةِ القادِمَة". فالرَّبُّ لَمْ يُحدِّد وَقتاً مُعيّناً لمجيئِهِ. لذلِك، فلنتعلم أنْ ننتَظِرَ الرَّبّ. وإنَّ مسألَةَ التطلُّعِ لمجيءِ الرَّبّ يسوع المسيح لكي يأخُذ خاصَّتَهُ مِنْ هذا العالَم هِي مَسْأَلَةُ انتِظار. والكِتابُ المُقَدَّس يُخبِرُنا بأنَّ مُنتَظري الرَّبّ يُجدِّدونَ قُوَّةً. كذلِك، لا يُمكُنُنا أنْ نُطالِبَ اللهَ بأنْ يُسَرِّعَ الأمور. فالأمور لا تَسيرُ كَما نُريدُها أنا أو أنْتَ، عزيزي، بَلْ كَما يشاءُ هُوَ. لذلِك، ينبَغي علينا أنْ نُفْسِحَ المجالَ للربّ لكي يتصرَّفَ بالطريقَةِ التي يراها مُناسِبَة. فَهُوَ كُلِيُّ العِلْمِ وكُلّيّ القُدْرَة، وإنْ سِرْنا مَعَهُ كَما يشاءُ هُوَ فسوفَ تكونُ الأمورُ أفضَل بِما لا يُقاس.

عدد 31-33 من الفصل الثلاثين:" لأَنَّهُ مِنْ صَوْتِ الرَّبِّ يَرْتَاعُ أَشُّورُ. بِالْقَضِيبِ يَضْرِبُ. وَيَكُونُ كُلُّ مُرُورِ عَصَا الْقَضَاءِ الَّتِي يُنْزِلُهَا الرَّبُّ عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ وَالْعِيدَانِ. وَبِحُرُوبِ ثَائِرَةٍ يُحَارِبُهُ. لأَنَّ «تُفْتَةَ» مُرَتَّبَةٌ مُنْذُ الأَمْسِ، مُهَيَّأَةٌ هِيَ أَيْضًا لِلْمَلِكِ، عَمِيقَةٌ وَاسِعَةٌ، كُومَتُهَا نَارٌ وَحَطَبٌ بِكَثْرَةٍ. نَفْخَةُ الرَّبِّ كَنَهْرِ كِبْرِيتٍ تُوقِدُهَا ". أشور هِيَ العَدُوُّ الأخيرُ لله في الضيقَةِ. و "تُفْتَة" كانَت موقِعاً في وادي ابنِ هَنّوم حيثُ كانَتْ تُمارَسُ جميع أنواع عِبادَةِ الأوثان، وحيثُ كانَ الناسُ يُقَدِّمونَ أطفالهُم ذبيحَةً حَيَّة! وهذا المقطَعُ يُشيرُ إلى أسوأ مَوقِعٍ في بُحيرَةِ النار. "المَلِك" المذكور هُنا يُمثِّلُ الوَحْشَ والنبيّ الكَذّاب. نقرأُ في رؤيا 10:20 ما يلي: "وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلاً إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ".

في الفَصْلِ الحادي والثَلاثين من إشعياء، يُحذِّرُ النبيُّ شَعْبَ اللهِ مَرَّةً أخرى مِنْ مَغَبَّةِ اللجوءِ إلى مِصْر طَلَباً للمُساعَدَةِ. كَما أنَّهُ يحضُّهُم على الثِقَةِ في الرَّبّ فيما يتعلَّقُ بمسألَةِ الدفاعِ عَنْ أورشليم. لقَد كانَ الخَطَرُ شَديداً وكانَ

هُنالِكَ احتمالٌ كبيرٌ في أنْ يلجأ الشعب إلى مِصْرَ . لهذا، فقَد واصَلَ النبيُّ إشَعْياء تحذيرَهُ ليهوذا عَنْ عَدَمِ جَدوى اللجوء لِمِصْر. تقول الآية الأولى:" وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَنْزِلُونَ إِلَى مِصْرَ لِلْمَعُونَةِ، وَيَسْتَنِدُونَ عَلَى الْخَيْلِ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الْمَرْكَبَاتِ لأَنَّهَا كَثِيرَةٌ، وَعَلَى الْفُرْسَانِ لأَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ جِدًّا، وَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ وَلاَ يَطْلُبُونَ الرَّبَّ ". هذِهِ هِيَ الوَيْلَةُ الخامِسَةُ، عزيزي. وهي تتعلَّقُ بهؤلاءِ الذينَ يلجأونَ لِمِصْرَ طَلَباً للعون. هُنالِكَ دَرْسٌ وَعِظَةٌ لي وَلَكَ، عزيزي، في هذه الآية. فالوَيْلُ لي ولَكَ حينَما نبتَعِدُ عَنِ اللهِ ونتَّجِهُ إلى العَونِ الماديِّ أو البَشَريّ. وأرجو أنْ لا تُسيءَ فَهْمي هُنا. فاللهُ لا يُريدُكَ أنْ تُحلِّقَ في عالَمِ الخيال، بَلْ يُريدُكَ أنْ تكونَ إنساناً واقِعيّاً. لكِنَّهُ يُريدُ في النِهايَةِ أنْ تُعطيهِ الأولويَّةَ الأولى فيما يتعلَّقُ بالعَونِ والمُساعَدَة. فأينَ تَذْهَبُ، صَديقي، طَلَباً للعون؟ إلى البُنوك؟ إلى راعي كنيستِك؟ صَحيحٌ أنَّهُ مِنَ الجَيِّدِ أنْ نستَشيرَ الآخَرينَ ونَطْلُبَ معونَتَهُم لنا، إلاّ أنَّ اتِّكالَنا الرئيسيّ يَجِبُ أنْ يكونَ على الرَّبّ. ويُعبِّرُ النبيُّ داود عَنِ الفِكْرَةِ نفسِها في المزمور 7:20 فيقول: "هؤُلاَءِ بِالْمَرْكَبَاتِ وَهؤُلاَءِ بِالْخَيْلِ، أَمَّا نَحْنُ فَاسْمَ الرَّبِّ إِلهِنَا نَذْكُرُ".

تقولُ الفَلْسَفَةُ الماديَّة إنَّهُ مِنَ الذَكاءِ أنْ يَثِقَ المَرْءُ في سوقِ الأوراقِ الماليَّةِ أو في استثماراتِه؛ وبِحَسَبِ السياقِ هُنا، مِنَ الذَكاءِ أنْ يلجأ الشَعْبُ إلى مِصْر. ولدى كُلٍّ مِنّا، عزيزي، شيءٌ ما يتَّكِلُ عليه. وقَد كانَت مُشكِلَةُ الشعب القديم هِيَ أنَّهُم لَمْ ينظُروا إلى اللهِ ولمْ يطْلُبوا العَوْنَ مِنْه. وعِوَضاً عَنْ وَضْعِ ثِقَتِهِم بِهِ، فقد لَجَأوا إلى قُوَّةٍ خارِجيَّة ألا وَهْيَ مِصر.

عدد 5:" كَطُيُورٍ مُرِفَّةٍ هكَذَا يُحَامِي رَبُّ الْجُنُودِ عَنْ أُورُشَلِيمَ. يُحَامِي فَيُنْقِذُ. يَعْفُو فَيُنَجِّي» ". لقَد قامَ الرَّبّ بالدِفاعِ عَنْ أورشليم وتخليصِها مِنْ أعدائِها في أيّامِ المَلِك حزقيّا، كَما سَنَرى لاحِقا. وقَد أكَّدَ اللهُ لَهُم بأنَّ الآشوريّينَ لَنْ يستولوا على مدينَةِ أورشليم. عدد 8:" وَيَسْقُطُ أَشُّورُ بِسَيْفِ غَيْرِ رَجُل، وَسَيْفُ غَيْرِ إِنْسَانٍ يَأْكُلُهُ، فَيَهْرُبُ مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ، وَيَكُونُ مُخْتَارُوهُ تَحْتَ الْجِزْيَةِ ". "بِسَيْفِ غَيْرِ إنسان" - يقولُ الرَّبّ هُنا إنَّ هزيمَةَ أشور لَنْ تكونَ بِسَبَبِ قُوَّة الشعب القديم. فاللهُ سيتعامَل مَعْ أشور بنفسِه. وينبَغي على شَعْبِ اللهِ أنْ يضَعوا ثِقَتَهُم في الرَّبّ.

أنْصَحُكَ، عزيزي، أنْ تقرأ هذا الفَصْلَ الحادي والثلاثين وتتأمَّلَ فيهِ جَيِّداً مِنْ أجْلِ تعزيَتِكَ وتقويَتِك، وليبارك الرب حياتك.